Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ظاهرة ما، أو إنساناً ما، وفي الحين نفسه يذمونه. إلا أن هذه الوقائع تصبح مفهومة إذا تذكرنا كلمات المنظر الأدبي قدامة بن جعفر التي أوردها في مؤلفه «نقد الشعر» حيث قال: «من بين الحالات التي يجدر أن نتحدث عنها قبل غيرها هي عندما يناقض الشاعر نفسه في قصيدتين مختلفتين، أو قولين مختلفين، مادحاً بمهارة شيئاً ما، وذاماً نفس الشيء أو الظاهرة وبنفس المهارة فيما بعد. لا يجوز أن يعتبر ذلك عيباً في الشاعر، طبعاً، حين يمدح بمهارة أو يذم بمهارة، على العكس، أنا أرى، أن هذا يشير إلى مهارة الشاعر الكبيرة» (٩٥ ـ ٤).

لذلك ليس مدهشاً أن لا يعتبر الشاعر، من الغريب، أن يعرضوا عليه مثلاً مدح الدينار، وبعد ذلك ذمه، أو أن يمدح النهر وبعد ذلك يصف سيئاته أو أن يكتب مديحاً للصمت، وبعد ذلك «مديحاً للكلام» (١٦، I ـ ٢٧٢).

في هذه الحالة يمدح الشاعر الصمت ليظهر مهارته، ثم ليتحول بعد ذلك إلى مديح متحمس للكلام، إذ إن «كل الحجج التي توردها لصالح الصمت يمكنك طرحها عن طريق الكلمة فقط» (٦٣ ـ ١٤٩). يقول العسكري في «كتاب الصناعتين» وهو يتأمل في التطابق بين «الأفكار» و «الكلمات» في المؤلفات النثرية والشعرية أن «الفكرة الصحيحة» لا تنطبق على احتمالات الحياة، فمن المهم أن يكون النموذج «صحيحاً» طبقاً للتعبير الكلامي، والمؤلّف متفق تماماً مع «فيلسوف» لم يذكر اسمه يرد على اتهام موجه للشاعر حول أنه يكذب في شعره، فيقول: «الشعراء مطالبون بالكلام الجميل، والحقيقة تطلب فقط من الأنبياء» (٨٨ ـ ١٣١)، ويؤكّد ابن رشيق أن «أفضلية الشعر هي أن الكذب الذي يدينه الناس وغيرهم بالإجماع، مستحب فيه» (١١ ـ ٢٢).